مجمعي افتقدناه

الشاعر محمد العيد آل خليفة

والمهرجان الوطني الشعري الأول والثاني بمدينة بسكرة / الجزائر

الدكتور نسيب نشاوي

في السابع من رمضان عام 1399هـ / 31 ـ 7 ـ 1979 م توفي بمستشفى باتنة بالجزائر المجاهد الوطني والعالم المجمعي الشاعر محمد العيد آل خليفة ودفن بمدينة بسكرة ، ففقد مجمع اللغة العربية بدمشق بوفاته رجلا عزيزا وعلما متميزا من أعلام الفكر والاصلاح والوطنية كان له دور بارز في مقاومة الاحتلال الفرنسي بالجزائر ، وارتبط اسمه بالنهضة الاصلاحية وحركة الانبعاث الفكري والتحرري والديني والدعوة الى اللغة العربية بالجزائر ، وقد انتخب عضوا في مجمع اللغة العربية بدمشق منذ عام 1972 م .

ولد الشاعر محمد العيد بمدينة عين البيضاء في 27 جمادى الأولى عام 1322 هـ / 28 آب 1904 م ، في أسرة محافظة تنتسب الى الطريقة التيجانية ، ونشأ في جو ديني ، فحفظ القرآن الكريم وتلقى دروسه الأولى في مدرسة عين البيضاء التي أسست عام 1912 م أو بعده وهي ثاني مدرسة في البلاد الجزائرية بعد مدرسة (تبسّة) . وانتقل مع أسرته الى مدينة (بسكرة) 1918 م حيث حضر دروسا علمية في اللغة والنحو

●آثر الكاتب في مقالته رسم الأرقام الغبارية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والفقه مدة سنتين على الشيخ علي بن ابراهيم العقبي خريج الزيتونة ، وانتقل محمد العيد الى تونس عام 1921 م حيث تتلمذ سنتين بجامع الزيتونة ، وعكف على كتب التراث فنهل من الأمالي للقالي والعقد الفريد لابن عبد ربه ... وقرأ شعر شوقي وحافظ ابراهيم .. ولما عاقه المرض رجع الى بسكرة وظل ملازما للمطالعة والتحصيل والدرس مع أنه عانى من هذا المرض الذي لازمه طوال حياته ، ومن الأزمات النفسية بسبب أذى المستعمر المحتل[1] .

وفي عام 1927 م دعي إلى العاصمة (الجزائر) للعمل في مدرسة الشبيبة الإسلامية الحرة حيث بقي مدرساً بها ومديراً لها اثني عشر عاماً يعلي شأن اللغة العربية ويقاوم الفرنسة .

وأسهم في هذه المرحلة في تأسيس « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » التي انتظم عقدها في السابع عشر من شهر ذي الحجة 1349 هـ / 5 ـ 5 ـ 1931 م برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس[2] وبارك ولادتها بقصيدته المشهورة « تحية العلماء » التي ألقاها في الاجتماع التأسيسي الأول للجمعية بنادي الترقي بالعاصمة الجزائرية[3] ومنها قوله :

طلعتم علينا كالكواكب في الدجى ... وسرتم الينا كالسحائب في الجدب
على صدرها عقد تألّق مثلما ... تألّق هذا الحفل بالسادة النجب
وإنا لشعب يعلم الله أنه ... كريم حصيف الرأي مرتفع الكعب
سليل جدود نابهين أعزّةٍ ... مغاور شوس كالضراغمة الغلب
أعيدوا على الإسلام هديَ محمدٍ ... بما كان يمليه على الآل والصحب[4]

وكان محمد العيد شاعرها مع كبار الشعراء الذين يمثلون الرعيل الأول للنهضة العربية في الجزائر ومنهم أحمد سحنون وعبد الكريم العقون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والأمين العمودي والسعيد الزاهري ومفدي زكريا ... وانهمرت مع ظهورهم دعوات الحرية والاستقلال والعلم والدين وتعمقت هذه الظاهرة الوطنية التي قادتها جمعية العلماء وأدباؤها فيا بعد في الشعر الذي شايع الثورة الجزائرية وناصرها وواكبها .

ونشر محمد العيد كثيرا من قصائده في صحف الجمعية كصحيفة « البصائر » التي التزمت بنشر الانتاج الأدبي العربي الفصيح ونموذجاته الراقية ، و « السنة » ، و « الشريعة » ، و « الصراط » ... كما نشر في صحيفتي « المرصاد » و « الثبات » لصاحبها محمد عبايسة الأخضري ، وشارك في حركة الوعي الفكري والوطني يعلم ويكتب وينشر الشعر ، ودعا الى الثورة على المستعمر قبل انطلاقها بسبع سنوات وبالضبط سنة 1937 م بقصيدة قال فيها :

فخض يا ابن الجزائر في المنايا تظللكَ البنودُ أو اللحودُ[5]

وأقسم أن يختار مصرعه في سبيل الوطن في قوله :

أقسمتُ لو خيرتني في مصرع ما اخترت الا في سبيلكَ مصرعي[6]

وحمّلت هذه الكلمات الجريئة صاحبها عبئاً ثقيلاً من قبل السلطات الاستعمارية التي كانت تنتهز الفرص لاعتقاله . وبقي محمد العيد يعلّم ويدير مدرسة الشبيبة الاسلامية الحرة الى عام 1939 م .

وفي سنة 1940 م بعد نشوب الحرب العالمية الثانية غادر العاصمة الجزائرية الى بسكرة بأسرته ، ومكث بها ثمانية أشهر ، ثم دعته الجمعية المشرفة على مدرسة (باتنة) فانتقل اليها وأدار مدرستها الحرة (مدرسة التربية والتعليم)[7] سبع سنوات حدثت في أثنائها مأساة (8 أيار / ماي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

1945م) المرعبة التي سقط فيها 45 ألف شهيد برصاص المستعمر الفرنسي في مدينة سطيف وقالمة وخراطة ، وعُطلت الصحف وسيق قادة الوطنية الى السجون ، وأعلنت حالة الطوارىء .. فأصيب الشعر بذهول تام مدة ثلاث سنوات ثم إنفجر كالبركان ، وأول صدى شعري لهذه المناسبة كان على لسان محمد العيد اذ قال :

أأكتمُ وجدي أو أُهدّىء إحساسي و (ثامن ماي) جرحُه ما له آسي
فيالك من خطب تعذَّر وصفُه فلم تَجْرِ أقلامٌ به فوق قرطاس[8]

وغادر مدرسة باتنة بعد عام 1947 م وانتقل الى مدينة « عين مليلة » ليدير مدرسة العرفان الى سنة 1954 م ، وواتاه الشعر بعين مليلة أكثر مما واتاه في مدينة باتنة[9] ، ونشر قصائده في الصحف الجزائرية داعيا الى احياء اللغة العربية حاثا على النهوض والاصلاح الاجتماعي والأخلاقي متابعا نهج المعلم الأول الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي توفي سنة 1940 م .

وبقي يدير مدرسة العرفان الى عام 1954 م اذ انطلقت الثورة الجزائرية الكبرى وكان من المؤهبين لها فصار شاعرها الثاني بعد مفدي زكريا (1913 ـ 1977 م) الذي لقب بحق « شاعر الثورة الجزائرية » ، أما محمد العيد فقد عرف في الأوساط الأدبية بـ « أمير شعراء المغرب العربي » ، وبمشاركته في الثورة الوطنية أغلقت مدرسته وألقي القبض عليه وزجّ به في السجن سنة 1955 م ، ثم أطلق سراحه وامتحنته السلطة الاستعمارية بعد اطلاق سراحه بمحنة قاسية وفرضت عليه الاقامة الاجبارية بمدينة « بسكرة » فلبث معزولا عن المجتمع تحت رقابة مشددة تهدُّ القلب وتجلب الهمّ ، ولكن روحه ظلت أبدا مع هموم الثورة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

التحريرية متطلعة الى تباشير اليوم الموعود ، فكان يبثّ شكواه للزائر الوحيد وهو الطائر الذي سماه أبا بشير الذي ألف أن يطلّ عليه كإطلالة الحمامة على سجن أبي فراس الحمداني ... فلا يجد إلا الشعر مفرّجاً للكروب يقول :

جـزمتُ بقرب إطـلاق الأسير غـداة سمعت صوت « أبي بشير »
أُنـاجيـه بـآمـالي وحـالي وأستفتيـه عن شعبي الكسير[10]

ومازال كذلك حتى فرّج الله عليه وعلى الشعب الجزائري بالتحرير والاستقلال عام 1962 م .

وفي عام 1959 م كانت دراسة الشاعر محمد العيد قد قررت في البرامج الدراسية للجزء الثاني من التحصيل في جامع الزيتونة . وبعد أن افتتحت الجامعات الوطنية الجزائرية قررت مناهج قسم اللغة العربية فيها مادة الأدب الجزائري الحديث فأدرج اسم محمد العيد مع أوائل الشعراء ، كما أقيمت حوله دراسات معمقة بعضها في كتب مفردة ومن أهمها الكتاب الذي أصدره الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله تحت عنوان « محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث » .

وفي مرحلة الاستقلال آوى محمد العيد الى ظل ظليل من الحرية والتكريم الى أن كان عام 1967 م اذ عمل الأستاذ الدكتور أحمد طالب الابراهيمي وكان يتولى وزارة التربية على نشر ديوان محمد العيد ، ففي هذا العام 1967 م نشرت وزارة التربية الوطنية الجزائرية الديوان بمدينة قسنطينة وقدم له الدكتور أحمد طالب الابراهيمي عضو مجمع اللغة العربية بدمشق وقد ضم الديوان معظم شعره ، وأعيد طبعه عام 1979 م وهو العام الذي توفي فيه رحمه الله . وله مسرحية شعرية بعنوان « بلال » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المهرجان الشعري الأول

بمدينة بسكرة من 25 الى 28 مارس 1982 م

أما الدولة الجزائرية فكرمت فقيد دوحة الأدب والوطنية الشاعر محمد العيد ومن مظاهر هذا التكريم المهرجانات الدورية التي صارت تقام له بمدينة (بسكرة) بعد وفاته ، ففي عام 1982 م (من 25 الى 28 مارس / آذار) نظم اتحاد الكتاب الجزائريين المهرجان الشعري الأول الذي ألقيت فيه محاضرات شارك فيها أعلام الأدب والنقد بالجزائر نذكر منها محاضرة الشاعر محمد الأخضر عبد القادر السائحي بعنوان « مفهوم الثورة والتحرر عند محمد العيد » ، ومحاضرة الأديب عبد الرحمن بن العقون الذي جمعته الأقدار بمحمد العيد بسجن الكدية بقسنطينة سنة 1955 م ومن قوله فيها :

« وكفاه شهادةً أمير البيان شكيب أرسلان اذ يقول : كلما قرأت شعرا لمحمد العيد الجزائري تأخذني هزة طرب تملك عليَّ مشاعري وأقول : إن كان في هذا العصر شاعر يصحّ أن يمثل البهاء زهيراً في سلاسة نظمه وخفة روحه ودقة شعوره فيكون محمد العيد ، وشهادة رائد الأدباء ورئيس العلماء الشيخ محمد البشير الابراهيمي اذ يقول : الأستاذ محمد العيد شاعر الشباب وشاعر الجزائر ، بل شاعر الشمال الافريقي بلا منازع » .

ثم سرد بعد ذلك ذكريات السجن والمحاكمة والشعر .

ومحاضرة الأستاذ الدكتور عبد الله حمادي : « لوازم الحداثة والمعاصرة للقصيدة العمودية » .

ومحاضرة الأستاذ محمد الطاهر فضلاء : « محمد العيد آل خليفة معلما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ورائداً » وقد احتوت ترجمة دقيقة لحياة الشاعر وألمح فيها الى ظروف طبع الديوان .

المهرجان الشعري الثاني

بمدينة بسكرة من 23 الى 26 مارس 1983 م

وفي ربيع عام 1983 م نظم المجلس الاداري لاتحاد الكتاب الجزائريين (المهرجان الوطني الشعري الثاني لمحمد العيد آل خليفة) الذي انعقد بمدينة بسكرة بدءاً من 23 الى 26 مارس / آذار 1983 م . ألقيت فيه عدة محاضرات ونحو خمسين قصيدة شعرية ، ثلاثون منها تجري على الأوزان المستحدثة ، وكان عدد الشعراء الذين شاركوا في المهرجان يتجاوز الثلاثين ، منهم الشيوخ الذين حنكتهم التجربة الفنية في ميدان القريض ومنهم الشبان الذين مازالوا يعالجون اللفظة الشعرية ويهومون في ساحة المحاولات الفنية والمعنوية .

ومن المحاضرات القيمة التي ألقيت :

ـ محاضرة العلامة الجزائري الأستاذ موسى أحمد نويوات صديق الشاعر وعنوانها :

« بعض جوانب الشيخ محمد العيد آل خليفة ـ العالم والمعلم في خدمة الوطن » وتحدث فيها عن أدب الفقيد وأنه كان يردد اسم الله في غضون كل قصيدة ويشيد بفضل العلم والتعليم والأصالة والوطنية والدين .. ثم انتقل الى دراسة فريدة في علم العروض تتعلق بالأوزان عند محمد العيد فقال :

« لقد طرق محمد العيد في شعره جميع البحور الشعرية الستة عشر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وبعض أضرابها ، ما عدا ثلاثة منها هي : المنسرح والمضارع والمقتضب . وقد أنشد قصيدة على تفعيلة واحدة من البحر الكامل تحت عنوان : « دمعة على القمر الخاسف » .. وهي تشتمل على سبعة وأربعين جزءاً ، وقد أتى ببعض أبياتها مذالا ، ولم يأت شعر على تفعيلة واحدة من تفاعيل الكامل لا في شعر العرب ولا في شعر المولّدين ، وانما الذي جاء في شعر المولدين كان من تفعيلة « الرجز » (مستفعلن) لا من تفعيلة الكامل .. ويستعمل محمد العيد في قصائده التقفية أكثر من التصريع وتارة لايستعملها بتاتاً ، وشعره خال من الزحاف المزدوج ـ المركب ـ لأنه مجتوى مستكره ، كما أنه لا يستعمل الوقص في تفعيلة الكامل ولا العقل في جزء الوافر ولا القبض والكف في الجزء السباعي من الطويل وان كان زحافا مفردا جائزا دخوله على هذه الأبحر لكنه قبيح مستكره يمجه الذوق السليم ، لذلك لانجده في شعر الفحول من الشعراء المطبوعين .. والمتتبع لقصائد محمد العيد التي هي من البسيط لا يجد مستفعلن الواقعة في حشوي الصدر والعجز . ولا ينسى .. أن يترك مستفعلن ذات الوتد المفروق في الخفيف غير مخبونة بل يخبنها لأن سلامتها من الخبن يحس السامع بها كأن البيت مختل الوزن » .

ـ **محاضرة الأستاذ الشيخ حمزة بوكرشة وعنوانها :** « خمسون سنة مع محمد العيد » قال فيها :

« عرفت محمد العيد أول ما عرفته ببسكرة في حلقة دروس الشيخ علي بن ابراهيم العقبي رحمه الله بالزاوية القادرية .. وتلامذته على طبقتين ، فالطبقة الأولى وكنت منهم تتلقى دروساً أولية في مقدمة ابن أجروم ومختصر الأخضري ، والطبقة الثانية تتلقى دروساً في قطْر الندى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والرحبية ورسالة ابن أبي زيد وكان محمد العيد منهم .. وتوفي الشيخ علي بن ابراهيم فاجتمعنا على دروس الشيخ المختار بن عمر البعلاوي بجامع القايد ببسكرة ، وما زلت أذكر من الفنون التي قرأناها على الشيخ مختار .. الحساب والفرائض بكتاب الدرة البيضاء ، وعلم الفلك بنظم السوسي المسمى بـ « المقنع في علم أبي مقرع » .

ثم ذكر أن محمد العيد حين دعي الى التعليم بمدرسة الشبيبة بالجزائر عام 1927 م « كان يقضي شهر الراحة من السنة الدراسية ببسكرة النخيل وهذه البلدة محببة لديه ، وأنه اعتزل الناس بعد الاستقلال . ولست أدري هل كان ذلك اجتنابا للقيل والقال . أو أن نزعته الصوفية استولت عليه .. فاعتكف في بيته مرددا قوله :

سلا القلب عن حب العباد وبغضهم وأصبح بيتاً للذي حرم البيتا

الى أن لقي ربه » .

ومن الشعراء الذين أنشدوا قصائدهم في المهرجان : الشاعر عمر البرناوي وعبد الله عيسى الحيلح ومحمد بن رقطان ومن قوله في رثاء محمد العيد :

يا أيها التاريخ سجل فضله وأقِمْ له في الخالدين مكانا
بالأمس كان يرى الحياة تحدياً ويرى التحدي في الوجود أمانا
وأخيبتي رحل الشروق ونحن في دنيا الضياع نغالب الطوفانا

والشاعر موسى الأحمدي نويوات وأحمد هويس والطاهر بوشوشي وعبد الحميد زقزوق ، وعز الدين ميهوبي وزهير الزاهري ومحمد بوزيدي الذي اقتفى رسم ابن سينا في عينيته ، ومن الشعراء الشبان الذين أنشدوا على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الأوزان المستحدثة الشاعر عبد الحميد شكيل . أما الشاعر محمد الأخضر السائحي فقد ختم المهرجان بقصيدة قال فيها :

أبا الشعر عاف الشعرَ بعدكَ قائلُهْ ... وولّت لياليه وولّت أصائلُهْ
ذوى روضُه الزاهي وقد كان ناضرا ... ترفُّ عليه بالظلال خمائلُه
وقد صار من لا يعرف الشعرَ شاعراً ... وغنّى به بين المحافل جاهلُه
وما حاول الإبداع بعدك واحد ... بشعر ولا نال الرضى من يحاوله
أبا الشعر هذا الشعر في مهرجانه ... يغنيك فاسمع كيف تشدو بلابله
فمن راسف في قيده متحفّظ ... ومن هاتف حرّ تهاوت سلاسلُهْ

وكان بين الوفود شعراء من سورية منهم هند هارون وسعيد قندقجي وأحمد دوغان .

تلك جذوة من أنوار ذلك المهرجان الكبير الذي أقيم بالجزائر تكريما للشاعر المجمعي العالم والمعلم . وأحب أن أنوّه بأنه في أثناء انعقاد المؤتمر كانت الصحافة الجزائرية تنشر دراسات نقدية لبعض الأدباء الجزائريين حول هذا المهرجان ، ومما نشر آنذاك المقال النقدي المطول الحواري الذي نشرته صحيفة النصر بقسنطينة على مدى خمسة أيام متوالية للأديبين الجزائريين أحمد شريبط وعبد الحميد شكيل ، ودار حول الامارة الشعرية للشاعر محمد العيد آل خليفة[11] .

نسيب نشاوي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الحواشي والتعليقات

(1) محمد الأخضر السائحي : مفهوم الثورة والتحرر عند محمد العيد ـ محاضرة ألقاها في المهرجان الشعري الأول لمحمد العيد ببسكرة 27 مارس 1982 م

(2) أحسن رايس : شعر جمعية العلماء ـ رسالة جامعية ـ جامعة عنابة ـ 1983 م ـ ص 10 .

(3) اسماعيل بن اصفية : من قضايا الشعر الجزائري الحديث ، الدين والوطن ـ رسالة جامعية ـ جامعة عنابة 1983 م ـ ص 33 .

(4) ديوان محمد العيد آل خليفة (الطبعة الثانية) ـ الجزائر 1979 م ـ (ط 1) ـ ص 247 ـ 248 .

(5) ديوان محمد العيد آل خليفة ـ نشر وزارة التربية الوطنية ـ قسنطينة 1967 م ـ ص 304 .

(6) المصدر نفسه ـ ص 144 .

(7) الشعر الجزائري المعاصر (نماذج وتراجم) ـ نشر مجلة آمال ـ طبع الشركة الوطنية بالجزائر 1982 م ـ 1 / 52 .

(8) ديوان العيد ـ ط 1 ـ ص 326 ، ودراسات في الشعر الجزائري الحديث للدكتور عبد الله الركيبي ـ ص 35 .

(9) محمد الأخضر السائحي ـ ص 5 .

(10) ديوان العيد ـ 27 ـ ص 422 ـ 424 .

(11) صحيفة النصر ـ الأربعاء 23 مارس 1983 م والأيام التالية له ، إذ نشر المقال على خمس حلقات وكان على شكل حوار نقدي بين الأديبين شريبط وشكيل . ونظمه ونسقه الكاتب الصحفي سمير رايس .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net